

تقديم

أصل هذا الكتاب مجموعة مقالات كتبها رجل الأعمال الأمريكي المشهور هنرى فورد (مؤسس شركة فورد للسيارات)، من نهاية عام ١٩٢٠م، وحتى بداية ١٩٢٢م، فى مجلة دير بورن إندپندنت.

وقبل ذلك بحوالى خمسين عامًا، كتب الروائى الروسى المشهور فيودور ديستوفسكى (*) عن «المسألة اليهودية» فى يومياته المنشورة فى «مجموعة الآثار الكاملة»- العدد ١٧ ليننجراد- عام ١٩٢٩م.

تناول فى يومياته بضع مسائل منها:

إفراط اليهود فى الشكوى عما لحقهم من ظلم واضطهاد فى تاريخهم.

[إننى أعلم حق العلم أن ما من شعب آخر فى هذا العالم دائم من الشكوى من نصيبه والتظلم من هوانه وتعاسته وعذابه فى كل لحظة، وفى كل خطوة يخطوها أو كلمة يتفوه بها]- صفحة ١٧، [قرأت فى عدد آذار من «بشير أوروبا» ما يفيد أن اليهود فى الولايات الجنوبية من أمريكا قد انقضوا بكل ثقلهم على الملايين الكثيرة من الزوجين المعتوقين واستحوذوا عليهم بأساليبهم الخاصة بحرفتهم الأزلية المعروفة «حرفة الاستحواذ على الذهب» مغتتمين نقائص الجمهور المسحوق وغياب الخبرة لديه. ما إن قرأت هذا النبأ حتى

(*) كتب عن «المسألة اليهودية» فى يومياته المنشورة عام ١٨٧٧م، ومات عام ١٨٨١م. والنصوص الواردة هنا منقولة من كتاب «فيودور ديستوفسكى والمسألة اليهودية» تعريب: سوق الدبلى، ومن منشورات دار ابن رشد، بيروت ١٩٨٣م.

تذكرت أن هذه الفكرة بالذات قد خطرت لى قبل سنوات خمس، وقتئذ قلت لنفسي: ها قد تحرر الزنوج من ربقة مُلّاك الرقيق، ولكن لن يقيض لهم الإفلات، فسوف ينقض على هذه الغنيمة الطازجة اليهود] صفحة ٢٠، ٢١.

[إن أبناء شعبنا البسطاء لا يضمرون أى بغض دينى مبيت سلفًا لليهود من قبيل «أن يهوذا قد باع المسيح» وحتى إذا سمعت هذا القول على ألسنة الصبية أو المخمورين، فإن شعبنا ينظر إلى الفرد اليهودى -أكرر- دون أية كراهية مبيتة. لقد لمست ذلك طوال خمسين عامًا، حيث قيض لى أن أعاش الشعب وأشاطره المكوث فى السجن والنوم على الأسرة الخشبية. كان بيننا نفر من اليهود لم أر أن أحدًا كان يحتقرهم أو يتحاشاهم أو يطردهم. ولكن ماذا نرى؟ هؤلاء اليهود كانوا يتحاشون الاختلاط بالروس، ويرفضون تناول الطعام معهم، ويعاملونهم ببعض الاستعلاء، وأين يجرى هذا؟ فى السجن! بل حتى كانوا يشمئزون ويتقززون من الروس، أى من الشعب «الأصلى»]. صفحة ٢٤، ٢٥.

[«دولة فى الدولة»: فميم تلخص هذه «الدولة فى الدولة» وما هى فكرتها الراسخة أوليًا، وما هو جوهر هذه الفكرة؟ الإجابة المسهبة تستغرق وقتًا طويلا، وتعدو متعذرة فى مقال قصير كهذا، ومتعذرة أيضًا؛ لأنه لم تأزف بعد كل «الأزمة واليهود»؛ لذا فالكلمة الفصل للبشرية فى هذه السلالة العظيمة ما فتئت فى عهدة المستقبل! ولكن بوسعنا أن نتصور بعضًا من ملامح هذه «الدولة فى الدولة»، الظاهرية منها على الأقل: هذه الملامح هى الانعزال والانطواء على صعيد المعتقدات الدينية المتحجرة، الانغلاق والإيمان بأن ليس ثمة شخصية آدمية سوى اليهودى، أما الآخرون - وإن كان لهم وجود، فينبغى رغم ذلك - تجاهل هذا الوجود:

«تنح عن الشعوب وكون هويتك الخاصة، واعلم أنك منذ الآن «الوحيد لدى الرب» أما الآخرون فافتك بهم أو اجعلهم عبيدًا أو سخرهم. آمن بالنصر على العالم

أجمع، آمن بأن كل شيء سيرضخ لك. كن صارماً في ازدراء الجميع ولا تعاشر في حياتك أحداً. وحتى حين تحرم من أرضك ومن هويتك السياسية، حتى حين تتشرد على وجه البسيطة بين الشعوب قاطبة، لا تأبه، بل آمن بما وعدت به، آمن دوماً بأن كل ما وعدت به سوف يتحقق»...

هذا هو جوهر فكرة «الدولة في الدولة». ص ٢٨، ٢٩.

[الله وحده يعلم ما ينتظر العالم من اليهود المتعلمين] ص ٣٠.

[إذن ليس اعتباطاً أن يستولى اليهود هناك (في أوروبا) على البورصات في كل مكان، ليس اعتباطاً أن يتحكموا براءوس الأموال، ليس اعتباطاً أن يكونوا أرباب القروض، وأكثر ليس اعتباطاً أن يكونوا أيضاً أرباب السياسة الدولية برمتها. أما ما الذي سيحدث في المستقبل، فهو أمر معلوم، بالطبع لدى اليهود أنفسهم، وهو أن سلطانهم يقترب، سلطانهم المطلق] ص ٢٦.

ما سبق بعض فقرات من يوميات الروائي الروسي ديستوفسكى كتبها عام ١٨٧٧م.

قبل أن نتجه من روسيا شرقاً إلى أمريكا غرباً، نتوقف قليلاً في فرنسا... ونسير عبر الزمان إلى نهاية القرن العشرين... نجد أن مفكراً فرنسياً عالمياً مثل روجيه جارودي يحاكم؛ لأنه طرح فكرة إجراء دراسة علمية عن عدد اليهود الذين قتلهم النازي... هل هم ستة ملايين؟ أم أربعة؟ أم اثنين؟ أم أقل من مليون؟، وكم قتل النازي من البولنديين مثلاً؟ وكم عدد ضحايا الحرب العالمية الثانية؟

تمت محاكمة جارودي، وأدين، ودفع غرامة في باريس النور والليبرالية(*) .
رغم أنه أدان قتل يهودى واحداً .

يمكنك في فرنسا أو أوروبا أو أمريكا أن تصدر كتاباً تشكك فيه : هل المسيح شخصية حقيقية أم أسطورة خيالية؟ هل ميلاده إعجازى بدون أب؟ أم نتيجة زنا والدته بعسكري روماني أو أو أو

[ونستغفر الله على ترديد ذلك عن مريم الطاهرة البتول وعن المسيح، صلى الله عليهما وسلم].

ولن يأبه لك أحد .. فتلك هي الليبرالية، وذلك هو التنوير ... أما أن تطلب دراسة علمية عن ضحايا النازي من اليهود ... فأنت ترتكب جريمة ضد الإنسانية، تستحق عليها المحاكمة والعقاب طبقاً للقانون! مثل ذلك يحدث في بريطانيا مع المؤرخ الإنجليزي المشهور إيرفنغ، ويحدث في بقية أوروبا مع غيره .

ولنأخذ مثلاً أخيراً من أمريكا الشمالية - كندا . شكك المواطن الكندي، ارنست زوندل في ضحايا النازي من اليهود . تمت محاكمته، وأدين، فاستأنف الحكم، وفي فترة الاستئناف، استشار لوشر، الخبير الأمريكى (من الولايات المتحدة) في غرف الإعدام بالغاز، وأرسله في مهمة علمية لاستكشاف غرف إعدام الغاز المزعومة .

ذهب الخبير، وعاد بتقريره العجيب، وخلاصته أن تلك الغرف غير مصممة ولا مؤهلة للإعدام بالغاز، ولا يمكن أن تكون استخدمت في ذلك!

ولكن لم يظهر ذلك التقرير في وسائل الإعلام، ولا بين المؤرخين، ولا الأدباء وعالم السينما والتلفزيون والمسرح!

(*) يمكن لمن يريد الاستزادة قراءة كتاب محاكمة جارودي - طبعة دار الشروق، وكتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، دار الشروق، و«تقرير لوشر» من منشورات مكتبة الشروق .

وفى الولايات المتحدة أيضاً، صرح نجم هولى وود مارلون براندو أن اليهود سيطرون على صناعة السينما... وبعد أيام قليلة اضطر للظهور على شاشات التليفزيون ثانياً يبكى ويعتذر عما قاله...

والمحطة الأخيرة قبل العودة لمقالات هنرى فورده، نسمع تصريحاً لرئيس وزراء ماليزيا - الذى اعتزل الحكم منذ أسابيع قليلة - يصرح بأن النازى أعدم عدة ملايين يهودى، وأن يهود اليوم يحكمون العالم بالنيابة.

أثارت تصريحاته غضب زعماء اليهود، وصرخ زعماء العالم بلسان اليهود ونيابة عنهم!

هل لو قال رئيس الوزراء الماليزى إن الولايات المتحدة تحكم العالم، هل كانت تثور عليه الولايات المتحدة؟ هل لو قال إن المسلمين - مثلاً - يسيطرون على مصادر البترول فى العالم، هل يثور أحد؟ بل هل لو قال - فرضاً - إن المسلمين يحكمون العالم، هل يثور المسلمون على هذا أم يشعروا بالفخر والانتشاء؟

نعود لمقالات هنرى فورده.

فى هذه المقالات من «اليهودى العالمى» [ويجب أن نذكر القارئ أن الكاتب يقصد: اليهودى الذى يريد أن يسيطر على العالم لحسابه، وليس اليهودى الذى يريد أن يعيش فى العالم على قدم المساواة مع بقية البشر، يعمل لنفسه، ولمجتمعه، على أساس من الأخوة البشرية] يستعرض هنرى فورده بضع مسائل:

* ما يقوله اليهود عن اضطهادهم ورميهم كل من يقترب من دراسة «المسألة اليهودية» بتهمة معاداة السامية. هل اليهود مضطهدون أم مضطهدون؟

* جبهات الأغبيار التى تتكلم باسم اليهود، وهى فى الواقع موجودة فى كل زمان ومكان (ولا يُستثنى الشرق الأوسط من ذلك).

* من هو اليهودى؟ هل هو من يعتنق اليهودية، ولو كان هندياً أو من الإسكيمو أو من اليابان؟ أم من ولد من أم يهودية؟ هل اليهودية دين أم جنس؟

* الصهيونية اليهودية، فلسطين، أرماجدون.

* اليهود والسلطة والنفوذ.

* اليهود والمال، فى الولايات المتحدة، والعالم.

عادل المعلم